

قصة السندباد البحري كما يتناولها النقد المعاصر

أ.م.د. مؤيد عبد الوهاب السامرائي

السيدة أنوار محمود مسعود الصالحي

جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم اللغة العربية

المقدمة

تعد مجموعة قصص (ألف ليلة وليلة) وحكاياتها ، من القصص الشعبية التي لاقت إعجاب كل المطلعين عليها واستحسانهم وانبهارهم ، وذاعت شهرتها وأطبقت على العالم كله منذ ظهورها حتى يومنا هذا ، باعتبارها سجلاً تراثياً وشعبياً صادقاً وحقيقياً نقل إلينا الصورة الحقيقية لطبيعة المجتمعات الشرقية ولا سيما العربية ، على اختلاف فئاته وطبقاته .

وتمثل أيضاً سجلاً تاريخياً وفلسفياً عكست بوضوح الملامح والأبعاد الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية للمجتمع العربي والإسلامي ، وقد تتعدى السياسية أيضاً . وتتضح أهمية هذا الكتاب في انه موسوعة تاريخية وجغرافية وعلمية ، تناثرت معلوماته بين ثنايا تلك القصص والحكايات ، فلا تخلو حكاية من حكاياته من معلومة ماثورة هنا أو هناك خلال سرد الأحداث ، و((يشكل هذا الكتاب الشرقي العظيم الزاخر بأعمال البطولة ذخيرة من الأخلاق والعادات العربية والقوانين والدين والمعتقدات والممارسات ، كما يشكل كنزاً عجبياً من التراث الشعبي الإسلامي))^(١) .

ولا تقف أهمية الكتاب وحكاياته على ذلك فقط ، بل تعدت إلى الجانب الفني بكل صورته وألوانه ، فقد أوحى تلك القصص والحكايات الفنانين الشرقيين والغربيين إلى تأليف الكثير من الأنواع الفنية استوحى أفكارها منها .

ونظراً إلى هذه الأهمية الكبرى التي يحظى بها هذا الكتاب ، فقد عُتبت بها الكثير من الدراسات قديماً وحديثاً ، تناولت كل واحدة منها جانباً معيناً أظهرت أهميته وأظهرت من خلاله أهمية الكتاب ككل ، وبيّنت وجهة نظر الباحثين وآراءهم فيها .

إن قصة (السندباد البحري) هي إحدى قصص وحكايات ألف ليلة وليلة التي سمعنا بها أو قرأناها من دون أن نخوض في عالمها بشكل دقيق .

وتعد قصة السندباد القصة البحرية الأولى والكبرى في الأدب العربي ، وهي فوق هذا ، واحدة من أهم قصص البحار في آداب العالم ن ولو لم يحو كتاب (ألف ليلة وليلة) على قصة (عبد الله البري والبحري) في بعض نسخه ، لكانت هي القصة البحرية الكاملة الوحيدة في الأدب العربي .



شكل البحر في هذه القصص على سعته وعموضه ، البطل الثاني ، فكان في قصة (عبد الله) وسيلة إلى غاية العرض الفلسفي ، أما في قصة (السندباد) فهو الغاية التي تنتهي إليها القصة . فالبحر هو ممثلها الأول وبطلها ، والقصة بهذا المعنى تكون مقابلة بين السندباد والبحر^(٢) . فالسندباد بما يحمله من ثقة عالية بالنفس وشخصية فذة ، والبحر بما يمتاز من غدر وعدم ثبات ، يجعل منهما محورين أساسيين لأحداث هذه القصة .

وقصة (السندباد) هي خلاصة المعارف البحرية والجغرافية العربية وبهذا يكون (السندباد) احد المكتشفين الذي أضاف من خلال رحلاته استكشافات كثيرة ومهمة في مجال البحر والجغرافية والنبات والحيوان ، فهو زيادة على كونه تاجراً وبحاراً هو مكتشف بارع . ومن خلال السطور القليلة المقبلة نسلط الضوء على هذه القصة مرة أخرى ومن زوايا جديدة في محاولة لتعريف القارئ العزيز وبشكل أوضح على ما حوته من مضامين مختلفة وبيان أهمية هذه القصة التي يكون قد قرأها أو سمع ببعض أحداثها من دون التدقيق في مضامينها وأهدافها .

ملخص قصة السندباد البحري^(٣)

استغرقت هذه الحكاية (٣٨) ليلة من الليالي الألف ، التي تبدأ بالليلة (٥٦١) إلى الليلة (٥٩٩) ، وتدور أحداثها في زمن الخليفة هارون الرشيد وتبدأ بالحديث عن السندباد الحمال الذي كان رجلاً فقيراً ، أتعبه الحمل في يوم شديد الحر ، فجلس إلى مصطبة عند باب بيت عظيم ، فاستدعاه صاحب الدار ، فراه رجلاً عظيماً محترماً ، وكزه الشيب في عارضيه ، مليح الصورة ، حسن المنظر ، فسأله عن اسمه وصناعته ، فعرف بأن اسمه السندباد الحمال ، فأبتسم ((وقال : اعلم يا حمال ان اسمك مثل اسمي ، فأنا السندباد البحري))^(٤) ، ثم اخذ السندباد البحري يحكي له أسباب هذه الثروة ، وكم قاسى من التعب والمشاق في حياة المخاطرات حتى تمكن من إعادة ثروته التي ورثها عن أبيه ، وذلك بالقيام بسبع رحلات بحرية ، وتتلخص هذه الرحلات بالآتي :

١. الرحلة الأولى : وذلك إن السندباد حينما أحسَّ إن ثروته على وشك الضياع ، انحدر

إلى البصرة برفقة تجار وركب السفينة وساروا من بر إلى بر ، ومن جزيرة إلى جزيرة حتى أشرفوا على جزيرة لطيفة منبسطة فنزلوا فيها وانتشروا فوق بساطها يستريحون ويأكلون ، وإذا أرض الجزيرة تميد بهم وتضطرب ، فاكتشفوا أن هذه الأرض ليست جزيرة ، وإنما هي حوت كبير يستريح فوق الماء ، وقد غاصت الجزيرة والسندباد متشبث ببعض الأخشاب

عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

وبقي معلقاً يومه وليلته حتى رمت به الأمواج إلى بر منخفض تتدلى فوقه شجرة غريبة تعلق بها

وبقي في هذه الجزيرة مدة طويلة حتى رأى ذات يوم سفينة فتشكك السندباد في أمرها وكأنه يعرفها ن واخذ بحارتها يخرجون متاعها حتى اخرجوا أحمالاً كُتِبَ عليها (هذه وديعة السندباد البغدادي) ، فدخل السندباد على الربان يسأله عن صاحب هذه الأحمال ، فأخذ الربان يقص عليه ما حدث لهم في تلك الجزيرة المتحركة فصرخ عند ذلك السندباد وعرفه بنفسه ، وحكى له حكايته فعانقه وأعاد له ماله مضاعفاً وسافروا حتى انتهوا إلى البصرة^(٥) .

٢. الرحلة الثانية : وفي الرحلة الثانية فان السندباد قام بالسفر أيضاً من بر إلى بر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن نزل هو وأصحابه التجار في جزيرة كثيرة الأشجار ، يانعة الثمار ، مترنمة الأطيار ، وجلس على ضفة عين ماء صافٍ وأكل وشرب ، ثم أخذته سنة من النوم ، فلما استيقظ لم يرَ أثراً لأصحابه في البر ، وشاهد أشرعة منشورة في الأفق ، فعلم إن السفينة أفلعت ونسيته ... فأخذ بعد ذلك يتجول في أرجاء الجزيرة غير المسكونة فتسلق شجرة ليستكشف سبيله فيها ، فلاح له شبح ابيض فتقدم إليه حتى بدا كأنه قبة بيضاء دار حولها يبحث عن باب فلم يرَ غير حائطها الأملس ، فلما أشرفت الشمس على المغيب رفع السندباد رأسه فرأى طيراً هائل الخلق ، غطى وجه الشمس ، كان ذلك طائر الرخ فحط فوق القبة البيضاء ، وأدرك السندباد إنها بيضته فألهمه ذكاؤه أن يحل عمامته ويفتلها كالحبل ويربط نفسه بمخالب الطير ، وهكذا حملته الطائر وحلق به إلى أن حطَّ به على ربوة فأسرع وفك رباطه واخذ يتمشى فإذا هو في وادي يلمع لمعاناً شديداً ، فاكتشف أرضاً حصباءها من الماس ، لكنها تموج بحيات كأنها جذوع النخيل ، وقضى السندباد أياماً وهو على هذه الحال ، وإذا شاة مذبوحة تسقط عليه من السماء ، فعرف بعدها أن هذه طريقة التجار للحصول على الماس الذي يعلق بهذه الشاة . فجمع ما ملأ به جيوبه من الماس وربط نفسه تحت الذبيحة ، فإذا جاء النسر وحمل الذبيحة حمله معها ، وهكذا خرج من ذلك الوادي ، وجاء التجار وعرض عليهم ما يحمله من الماس وقص عليهم قصته ، فعاد السندباد بصحبتهم وقد باعوا الماس وحصلوا على ثروة طائلة^(٦) .

٣. الرحلة الثالثة : وتتلخص في وقوع سفينة السندباد في ارض الزغب وهم قوم كالقروذ وفيهم غول اسود عملاق ، اخذ يتحسس ركاب السفينة جميعهم حتى وقع اختياره على الربان فأوقد ناراً واخذ يشويه ويأكله ثم نام بعدها ، وكانت هذه عادته حتى أتى عليهم جميعاً ، ولم يبقَ منهم سوى السندباد وبعض صحبه الذين تمكنوا من الهرب فوققوا على ساحل الجزيرة واخذوا



يبحثون عن مكان آمن فلم يجدوا ، فألقوا بأنفسهم عند المساء من شدة التعب وناموا على رمال الشاطئ وصحوا على صوت فحيح مرعب فإذا هي حية عظيمة فالتهمت احدهم وابتلعته بعدها تمكن السندباد من التخلص منها باعجوبة ولاحت له سفينة عابرة فلوح لها وأنقذته^(٧) .

٤ . الرحلة الرابعة : نزل السندباد وأصحابه إلى جزيرة سكانها قوم عراة سود مفلو الشعر ، قادوهم إلى ملكهم ، فأكرم مثواهم ، فكان هؤلاء القوم ممن يأكلون لحوم البشر ، واستطاع السندباد بذكائه أن يتخلص منهم أيضا ، وبقي سبعة أيام يسير من دون هدى ، وفي صباح اليوم الثامن شاهد مجموعة من تجار الفلفل فحكى لهم حكايته فعادوا به إلى بلادهم وادخلوه على ملكهم الذي أكرمه وقربه منه وزوجه ابنته ، وكانت من عادات هذه البلاد ، إذا ماتت المرأة فإنهم يدفنون زوجها معها والعكس أيضاً ، فصادف إن تمرضت زوجة السندباد وماتت فدفنوه معها وبقي في الكهف مع الموتى أياماً وأسابيع حتى أوصله حيوان صغير إلى مخرج من ذلك الكهف ن واخذ يتربص مرور سفينة فلاحت له من بعيد فأرسل له ربانها زورقاً حملاً إليهم وأنقذوه^(٨) .

٥ . الرحلة الخامسة : التي تتحدث عن لقاء السندباد بشيخ البحر الذي قاده كرمه وطيب أخلاقه في مساعدة الشيخ العجوز الذي رآه عاجزاً عن الحركة ، بسبب ساقيه فحملة على أكتافه ينقله من مكان إلى آخر ، ثم حاول أن ينزله عنه لكن الشيخ كان قد لف رجليه حول رقبته لفاً ، وحاول السندباد عبثاً أن يلقيه عنه لكن الشيخ ضغط على رقبته بقوة حتى جحظت عيناه ، وظل السندباد على هذه الحال ينتقل بالشيخ حتى اختار حيلة شراب اليقطين ، الذي أغواه بشربه فسكر واخذ يترنح من على كتفه فالفاه وتمكن من التخلص من هذا الشيخ الذي لم يقع إنسان في قبضته ونجا^(٩) .

٦ . الرحلة السادسة : وهذه الرحلة لم تخل أيضاً من المغامرة ، فبعد أن أبحر السندباد وأصحابه من التجار واجهتهم عاصفة بحرية قوية أدت إلى تحطم السفينة ن وإذا هم فوق جزيرة مستطيلة وكان الناجون يتماوتون جوعاً بعد أن نفذ طعامهم ، فوجدوا ماءً جارياً في نهر عجيب يجري داخل كهف واسع المنفذ فاستطاع السندباد أن يصنع له قارباً صغيراً حملاً من الجواهر والعنبر وسار به حتى وصل نهايته تقريباً ، وإذا حوله جماعة من الهنود فأخذوه إلى ملكهم فقص عليه حكايته فأكرمه وحمّله هدية إلى هارون الرشيد وهو كتاب (صفوة الأذهان) فسافر السندباد بعدها عائداً إلى بغداد^(١٠) .

عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

٧. الرحلة السابعة والأخيرة : وهي التي سافر فيها السندباد كعادته مع جماعة من التجار وساروا من بحر إلى بحر إلى أن خرجت عليهم ثلاث حيتان عظيمة كسرت المركب وغرقت وغرق من فيها ، ونجا السندباد بلوح من ألواح الخشب وأخذت الأمواج تدفعه وهو في غاية العطش والجوع والخوف حتى رست به على شاطئ جزيرة ومشى فيها فرأى فيها نهراً عظيماً ، فعمل فلك (قارب) صغير وجمع أخشاب من خشب الصندل الذي لا يوجد مثله وهو لا يعلم قيمته ، ومضى به إلى أن رسا على ساحل مدينة عظيمة فيها خلق كثيرون فرحبوا به وأكرموه وباع في تلك المدينة خشب الصندل بأعلى ثمن وتزوج ابنة الشيخ الكبير الذي ساعده فأصبح له ثروة ومكانة حتى التقى بجماعة في المدينة أرادوا السفر فسافر مع زوجته حتى وصل إلى مدينة البصرة . فعاد إلى بلاده تائباً من السفر بالبحر مرة أخرى^(١١) .

تحليل عام للقصة

يتضح لنا من خلال هذه القصة أنها إحدى الحكايات الشعبية من حكايات ألف ليلة وليلة ، والتي يتحدد زمانها ومكانها في بغداد في زمن الخليفة هارون الرشيد ، وهي تروي لنا قصة البطل المغامر ، وهو الشكل الثاني من أشكال الحكاية الشعبية ، الذي يستند إلى بطل واحد يحكي ما جرى له من أحداث ومغامرات ، وتظهر بوضوح في صورة هذا البطل ، صورة التاجر البغدادي كإحدى صور المجتمع العربي ، وتبرز شخصية (السندباد) بكل جوانبها من قوة وضعف ، وحب للمغامرة وطلباً للمال ، زيادة على إظهارها أخلاق التاجر (السندباد) من صدق ووفاء وأمانة ، ومن خلال ذلك كله نستطيع أن نقرر السمة الأولى للحكاية الشعبية ، وهي ارتكازها على الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه الشعب ، وكانت هذه الحكاية حريصة على أن تُشعر القارئ بجوها الواقعي ، وذلك حين تبدأ بتحديد الزمان والمكان .

وحكاية السندباد تروي لنا قصة التاجر الذي همه الأول والأخير هو السفر والمتاجرة ، والتخلص من واقعه البائس ، وليس لغرض آخر ، ورب قارئ يعتقد أن رحلات السندباد السبع ربما تعود لأسباب ترتبط بالنساء ، أي انه كان هدفه من كل رحلة يقوم بها هو الفوز بإحدى النساء .

الذي نقوله هنا ، ومن خلال قراءتنا المتفحصة لهذه القصة ، وجدنا انه لم يلتق بالنساء ، ولم يتزوج في رحلاته إلا في الرحلة الرابعة حينما زوجه ملك الجزيرة بابنته ، وهي الرحلة التي دفن فيها السندباد حياً^(١٢) . والرحلة السابعة^(١٣) .



وتتجلى في قصة (السندباد البحري) ثنائية الراوي والمروي له ، فيظهر في هذه الحكاية الراوي مفرداً مع تعدد المروي لهم ، فضلاً عن توالد المزيد من الحكايات ضمن إطار الحكاية الأم . فيروي (السندباد البحري) للسندباد البري (الحمال) حكاياته أو مغامراته السبع ، وهو لا يكتفي بذلك ، بل هو يروي لعدد كبير من المروي لهم حكاياته حينما وقعت ، وهذا يكشف عن تعدد في مستويات المروي لهم وبقاء الراوي في مستوى واحد^(١٤) .

أما من حيث البناء السردي لهذه القصة ، فهي ((وحدة سردية مستقلة بذاتها تجسم فعلاً أو حادثاً ما ، يبين شخصاً من الناس ، سواء له الصفة التاريخية أم لا ، يتصف بصفة حبه للسفر))^(١٥) .

ويتضح لنا أيضاً عنصر الخرافة في القصة بشكل واضح وبارز ، ففي كل رحلة من رحلاته نجد مظهراً من مظاهر هذه الخرافة واضحاً فيها ، فمثلاً في رحلته الأولى حينما نزلوا على أرض جزيرة متحركة ، اتضح فيما بعد أنها حوت كبير ، وهي تضم على سطحها أراضٍ خضراء واسعة وأشجار باسقة كبيرة ، ولم تخلُ القصة من ذكر لبعض الحيوانات الخرافية كالرخ مثلاً^(١٦) .

وتعد قصة السندباد من القصص الأولى التي نقلت لنا عادات وتقاليد بعض الأقوام في البلدان المختلفة التي زارها السندباد في رحلاته ، لذا نراه يذكر على سبيل المثال ، انه في احد تلك البلدان إذا مات احد الزوجين دفن صاحبه معه ، أو يذكر كيف كان عليه ملك السودان وأتباعه وطرق إظهارهم للطاعة والولاء له^(١٧) .

و((قصة السندباد هي خلاصة المعارف البحرية والجغرافية عن البحر الشرقي الكبير فيما قبل عصر الاستكشافات... كما أنها واحدة من روائع الأدب الخيالي في الشرق والغرب))^(١٨) . ويمكن أن نلاحظ أيضاً في هذه القصة أنها تمثل بمجموعها سيرة ذاتية شعبية لشخصية السندباد نفسه ، أي بعبارة أخرى إن سرد هذه المغامرات وما تتطوي عليه من أحداث سواء أكان الواقعي منها والخيالي تمثل بمجملها سرد لسيرة السندباد^(١٩) .

فلذا أمكننا القول : إنها ((ذخيرة أدبية كبيرة))^(٢٠) ، لاحتوائها على مضمون اجتماعي أو إنساني ووجود مضمون فني أو أدبي زاخر .

وعوداً على البدء ، فأننا نقول أيضاً ، إنها قصة تخرج على لسان بطلها (السندباد) مفعمة بالحياة تتدافع أحداثها بعضها على اثر بعض ، كأنها أمواج البحر الزاخر الذي يلج فيه السندباد ، وتجرع مره أكثر من حلوه ، ورضي مع هذا كله أن يكون أسير سحره ، فتخرج

عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

القصة من فمه متناسقة متلائمة قادرة على إبراز صور البحر وجرائره ، وألوان الطبيعة بطريقة إيحائية تعنى بالجو الفني أكثر مما تعنى بالتفاصيل ، تنبض بالحياة وتفيض بالحركة وتتوهج ألواناً وأنواراً ، وهي على طولها تستأنثر بمشاعر قرائها أو سامعيها .

ويمكن القول أيضاً ، إن قصة السندباد عكست الواقع الاجتماعي العربي بكل أبعاده من غنى وفقير ، وتعدد طبقات وغيرها فرسمت نموذجاً لأخلاقيات كل فئة تارة التي يمكن من خلاله أن نترسم النقد الاجتماعي البناء . والتركيز على بعض الأخلاقيات ونقدها أو التحلي ببعضها والتركيز على تقليدها واتخاذها مثلاً أعلى يقتدى به .

إن بروز هذه الأخلاقيات وتقليدها أو نقدها ، دعت بعض الباحثين إلى أن يجعلوها الحلقة المميزة التي ميزت حكايات ألف ليلة وليلة بشكل عام ، وهذه الميزة هي التي أكدت أصالتها العربية ، وكونها ثمرة التطور الاجتماعي العربي من دون إرجاعها إلى الأصول الهندية أو الفارسية أو غيرها^(٢١) .

أظهرت هذه القصة أيضاً مدى التبادل المعرفي أو بعبارة اصح المهني أو الحرفي بين الشعوب المختلفة فعلى سبيل المثال ، إن السندباد في رحلته الرابعة حينما التقى بأناس يجمعون الفلفل وأخذوه إلى ملكهم ورحب به وأكرمه فرآهم يركبون الخيل من دون سروج فصنع السندباد لهم سرجاً فأعجبوا به وأصبحت له مهنة يرتزق منها^(٢٢) .

وفي رحلته السابعة حينما صنع لنفسه فلكاً (قارباً) من خشب الصندل ، وهو لا يعلم ما قيمة هذا الخشب إلى ان وصل إلى تلك المدينة العظيمة ، فذكر له أهلها ان هذا الخشب له ثمن غال ، وهو من الأنواع الجيدة والفريدة ، فتعلم منهم هذه الحرفة أيضاً^(٢٣) .

شخصية السندباد البحري في القصة

قبل الحديث عن قصة السندباد البحري ودورها في الليالي ، وعرض آراء النقاد عرب ومستشرقين فيها ن وتأثيرها في الآداب العالمية ن لا بد لنا من وقفة قصيرة نتبين من خلالها هذه الشخصية البارزة التي دارت حولها القصة ، وقامت بتلك الرحلات السبع ، فهي تبرز لنا وبجلاء هيئة التاجر المغامر التواق إلى المغامرات الذي ينسى بعد كل رحلة ما قاساه وما شاهده من أهوال ومتاعب .

فرحلاته لم تكن طلباً للكسب فقط ، فلو كانت كذلك لاكتفى بما أصابه في الرحلة الأولى والثانية ، غير ان حبه للسفر والمغامرة ، كان دافعه الأساس للقيام بهذه الرحلات . وأنا لنسمع منه وهو يسرد أخبار رحلاته أمثال هذه الجمل قبل كل رحلة : ((واشتأقت نفسي للتجارة والتفرج



في البلدان والجزائر)) ، أو ((وتشوقت الى السفر والفرجة والفوائد)) ، أو ((فحدثتني نفسي الخبيثة بالسفر الى بلاد الناس ، واشتقت الى مصاحبة الأجناس)) ، بل هو يبدأ حكايته السادسة بهذه الجملة التي تبدد كل شك في نزعته الغلابية : ((وبينما انا جالس واذا بجماعة من التجار وردوا عليّ وعليهم آثار السفر فعند ذلك تذكرت ايام قدومي من السفر وفرحي بقاء أهلي وأحبائي وسروري بدخول بلادي فاشتاقت نفسي الى السفر والتجارة)) (٢٤) .

والسندباد البحري في الليالي هو احد طبقة التجار التي كانت مسيطرة في المجتمع العربي (٢٥) ، هذه الطبقة التي كانت تمثل السيادة والمال والجاه والسلطان والتجارة . ف ((أصبح التفاخر بينهم بالسفر والاعتراب عن الوطن فلا فخر لأولاد التجار الا بالسفر)) (٢٦) .

وتتجلى وتتجسد في شخصية (السندباد) بعض أخلاقيات التجار كالأخوة والوفاء والصدق والأمانة والثقة ن لانها تعد الطبقة العليا أو الراقية في المجتمع العربي – ان صح التعبير – التي يجب ان تتجلى بهذه الصفات في ذلك الوقت ، وربما تكون هذه الصفات هي الرصيد الأقوى بالنسبة للتجار أكثر من الرصيد المادي ، فالأهم في الموضوع هنا هي السمعة الطيبة لهذه الطبقة ، والتي ينتمي اليها بطلنا السندباد .

وقد تكون الأسفار التي قام بها سبباً في توفد هذه الصفات فنشأت علاقات وطيدة بينه وبين التجار في رحلاته الكثيرة مثلما حدث في رحلته السابعة على سبيل المثال (٢٧) .

وكذلك فقد علمته هذه الأسفار ، اكبارةً للوفاء بين الاخوان و اكبارةً للثقة بين الناس ، ولكنها علمته أيضاً صدقاً في المعاملة ، فيحرص التاجر اذا قال شيئاً ان يفي بقوله ، وهذا الصدق لم يكن بين التجار وعمالهم من معاملات ، فضلاً عن ذلك نجد هذا الوفاء العجيب والصدق والإخلاص في المعاملة حتى لما ظن انه قد مات ، وتجلى ذلك في رحلته الثالثة حينما ترسو المراكب عند جزيرة السلاهة ويخرج الرئيس بضاعة السندباد الذي كان الجميع مؤمن بانها غرق ومات ، ليبيعه باسمه ويحصل على ثمنها وربحها ولا يفرط فيها حرصاً على مال الميت ليوصله الى أهله ، وحينما يظهر السندباد نفسه ويقول ان المال ماله لا يسلمه الا بعد ان يستوثق حقاً من شخصيته (٢٨) .

وعلى ضوء هذه الأخلاقيات التي يرسمها لنا عالم التجار التي مثلما ذكرنا قبل قليل تمثل الطبقة المستأثرة في المجتمع العربي ، يرى بعض الباحثين ومن خلال بعض الإحصائيات في عدد الحكايات المروية عن التجار وغيرها المروية عن عامة الشعب من أصحاب الحرف الأخرى ، الذين لم تخصص لهم الا ١٠ % فقط من هذه الحكايات . ويذكر ان التجار هم ليسوا على هذه

عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

الأخلاقيات التي تحدثنا عنها لان التاجر كونه المحور الأساسي في الحكايات ن ولا سيما حكايات الف ليلة وليلة ، وهذه الحكايات تقوم او تدور حول الجنس كما يعتقد الذي يتحكم بآليته التاجر كونه نموذج الطبقة المسيطرة في العصور الإسلامية ، فجعل منهم وسيلة للقمع ولا سيما للمرأة^(٢٩) .

ونذهب الى ما ذهب اليه الباحث محمود طرشونة من ان هذا الحكم فيه الكثير من التعسف لانه لا يمكن للتاجر وان كان صاحب سلطة ونفوذ سياسي ان يكون أداة قمع جنسي وان ربطه بأسطورة الجنس لا يستقيم ، إذ يجعل المرأة بضاعة يتصرف فيها التاجر على هواه^(٣٠) .

وفي شخصية السندباد البحري لا نرى نموذج التاجر الذي يتحدث عنه الدكتور خليل في كتابه والذي عم حكمه فيه على جميع حكايات الف ليلة وليلة ، ولا نرى ذلك الاهتمام بالمرأة ، إذ انه لم يذكر المرأة في اغلب رحلاته لأنها حكاية مغامرات قام بها هو في البحار والجزر ، وهذه تكون بطبيعة الحال بعيدة الى حد كبير — فيما نعتقده — عن الانشغال بالمرأة .

وزيادة على ما تقدم تظهر لنا شخصية السندباد البحري شخصية ذلك الشاب الطموح الذي يعتمد على نفسه وعمل يده في الوصول الى ما يطمح اليه من مال وجاه ، لا يعرف الاتكال والكسل ، محاولاً استعادة ثروة أبيه المفقودة ، فهو لا يقف مكتوف الأيدي ينتظر من يساعده ويتفضل عليه ، بل فضل المغامرة وركوب البحر ، وبذلك حقق هدفين او غايتين وهما : كسب المال ، والمغامرة والسفر ، وربما كان الثاني هو السبب الرئيس في قيامه برحلاته السبع .

ونموذج شخصية السندباد التاجر هو نموذج الشاب المتوقد نشاطاً وهمة ، المملوء ثقة بنفسه وبعمله ، لا يثنيه عن تحقيق طموحاته أهوال البحر وأخطاره .

وتتجلى أيضاً في شخصية السندباد فطنته وشدة ذكاؤه وقدرته على كسب الوقت والظروف لصالحه ، ومقدرته الفائقة على حسن التصرف في المواقف الحرجة التي تعرض لها في رحلاته ، إذن هي دعوة لشبابنا الناهض ان يتحلوا بهذه الصفات التي تجعل منهم رجال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الرجولة .

وقد نالت شخصية السندباد دهشة القراء الانكليز والعرب على حد سواء ، لما فيها من المظاهر الوجدانية المختلفة التي يتمتع بها السندباد ، والتي تظهر من خلال قلقه وهو يندفع بقوة نحو البحر وبدافع اكبر من كسب المال وهو تاجر أصلاً ، فيوصف انه من ((أكثر الشخصيات المؤثرة في الليالي العربية الى جانب شخصية شهرزاد ، وانه شخصية مقنعة الى ابعد حدود الإقناع))^(٣١) .



ونجد في شخصية السندباد ايضاً ميزة حب الاستطلاع ، والكشف عن كل شيء يقع أمامه أو يجهله فـ ((حكاية السندباد هي قصة جميع الرحالين المستكشفين اولئك الذين يتركون السبيل المطروق السوي الى المسالك الوعرة المجهولة رغبة في المعرفة وتحقيقاً لأحلام نفوسهم الغالبة)) (٣٢) .

قصة السندباد البحري بين الأصالة والزيادة

لقد تناول العديد من الباحثين ، من العرب والمستشرقين قصة السندباد البحري دراسة وتحليلاً ، متناولين مسألة مهمة جداً فيها وهي : هل يمكن ان تعد قصة السندباد البحري إحدى القصص الأصلية في الف ليلة وليلة أم انها مزيدة عليها ؟

لا بد لنا في بداية الأمر وقبل الإجابة عن هذا السؤال ان نعرض الآراء التي قيلت في هذا الشأن توصلنا الى الرأي الأرجح فيها ، ولإعطاء صورة واضحة للقارئ عن أصالة هذه القصة التي ذاع صيتها كواحدة من اشهر حكايات الف ليلة وليلة ، وسنبداً أولاً بآراء النقاد العرب الذين يقف في مقدمتهم احمد حسن الزيات ، ففي مناقشة له حول أصول كتاب الف ليلة وليلة ، تكلم عن اصله الهندي ثم الفارسي مروراً بالعربي ، فقد قيلت بغداد في عهد الرشيد او المنصور كتاب (هزار افسانه) وعربته وضخمت حجم الكتاب إضافات جديدة ، وفي هذه المرحلة ظهر لأول مرة كتاب (الف ليلة وليلة) ، ثم بين ان الإضافات هي من عمل الكتاب لا الرواة ن فقد اشتهر في ذلك العصر كتاب يجيدون تأليف الحكايات مثل (سهل بن هارون) و (ابن عبدوس الجهشيارى) ، ولاحظ أيضاً ان هذه الإضافات البغدادية عربية روحاً ومعنى اذا زالت منها آثار الترجمة (٣٣) . وهذه الإضافات هي مما افرزه النشاط التجاري في البصرة مثل (رحلات السندباد البحري) ، وما أفرزته أيضاً الحياة اليومية في بغداد مثل (حكاية أبو محمد الكسلان) (٣٤) .

فراي الدكتور الزيات يقوم أساساً على ان قصة السندباد البحري هي من القصص المزيدة على حكايات الف ليلة وليلة الأصلية أضافها الكتاب البغداديون من باب التشويق وحب المغامرة . ويتفق معه في هذا الرأي كلاً من احمد أمين وزكي نجيب محمود في ان بعض القصص في (الكتاب) بعد ترجمته من الفارسية قد زادت فيه الأمم العربية المختلفة على توالي العصور الى آخر عصر المماليك (٣٥) . فذكر ان المستشرقين قاموا بتحليل قصص الكتاب ورد كل مجموعة منها الى الامة التي صدرت عنها وتحديد تاريخها ، فهناك قصص بغدادية تمثل حياة بغداد في عصر الرشيد ، وهناك قصص مصرية تمثل حياة مصر مثل (احمد دنف ودليلة) ،



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

وهناك قصص من اصل يهودي ادخلها فيها يهود تعربوا (قصة كريم الدين) وقصص من عصر قديم حيث ازدهرت التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي كقصة السندباد البحري^(٣٦) .

ويطالعنا بعد ذلك رأي الدكتورة سهير القلماوي التي تتفق أيضاً مع آراء سابقها في انها من القصص المضافة والمزينة الى الف ليلة وليلة ، إذ تقول : ((وقصة السندباد البحري وان تكن موجودة في اقدم نسخة من الليالي كجزء منها ، فأنها على الأرجح كما تدل هي بنفسها وموضوعها خاصة ، مما قد أضيف أيضاً الى الكتاب بعد الترجمة على الأقل))^(٣٧) .

ثم تورد الدكتورة في بحثها عن تأثير الف ليلة وليلة في دراسات المستشرقين بحث المستشرق (كازانوف) هذا البحث هو خلاصة محاضرات كان قد ألقاها في (كلية دوفرانس) ، وهي تتجه اتجاهاً علمياً الى حد بعيد فيها التحقيق والمقارنة والدرس ، إذ يبدأ بحثه بمقدمة تاريخية عن الزمن الذي ازدهرت فيه الرحلات في الدولة الإسلامية ، وكثر فيه جلب الكنوز من وراء البحار ، وما في كتاب السندباد الا تخيم لبعض هذه الحقائق التاريخية ، ثم يبحث في الزمن الذي ألفت فيه (قصة السندباد) فيعرض آراء غيره كراي (دوجويه) و (نولدكه) اللذين يتفقان على ان القصة اتخذت شكلها الحالي حوالي القرن الثالث الهجري ، وانها كانت منذ ذلك جزءاً من الكتاب _ الف ليلة وليلة _^(٣٨) .

فهذان الباحثان يقرران كما هو ملاحظ ان قصة السندباد البحري هي قصة أصلية من اصل الحكايات الموجودة في الكتاب مستنديين الى ان اغلب البحوث التي كتبت حول النسخة الأم للكتاب تعود زمن تأليفه الى القرن الثالث الهجري . وقد نشرت الباحثة (نبيهة عبود) ما تبقى من ورقة هي اقدم ما وصلنا مما كتب على الورق باللغة العربية تحمل عنوان إحدى الأمهات القديمة وفيها شهادة بتاريخ (٢٦٦ هـ) وبينت الباحثة ان عنوان الكتاب ونصه : (كتاب فيه حديث الف ليلة وليلة) وما في اصل الورقة ما له علاقة بهذا الكتاب تعود كتابته الى أوائل القرن الثالث الهجري^(٣٩) ، أي انها أيضاً تعود وترجع قصة السندباد الى اصل هذا الكتاب ، بمعنى انها مما وُجد أصلاً وأصيلاً في مضمونه .

اما (بروكلمان) و (هورات) فهما يقرران انها ألفت بعد ذلك التاريخ ، وانها أضيفت الى حكايات الف ليلة وليلة ، ويحاول (كازانوف) ان يستدل على ذلك من القصة نفسها . فبحث أولاً عن كل ما هو موجود فيها الذي يمكن ان يكون أصلاً لقصة السندباد في مؤلفات عربية اخرى ، لكنه يجد ان كلاً من الكتب العربية التي الفت عن الرحلات وقصة السندباد يمكن ان تكون قد نبعت من مصدر واحد قديم من الصعب الوصول اليه . وقارن بين كل ما دار في



قصص السندباد والقصص الأخرى التي وردت في بعض النسخ الأخرى ، وتوصل من هذا البحث والتدقيق والدراسة الى ان ((قصص السندباد لا يمكن ان تفصل من كتاب الليالي ، وانها كونت جزءاً منه دائماً ، بل لعلها كانت إحدى القصص في إطار الحمال الأول الذي كان يضم (فمن يدري) قصصاً أخرى غير قصة السندباد))^(٤٠) .

اذن اعترف (كازانوفاً) بعد هذا كله بأصلية القصة في الكتاب انها ليست مضافة او مزيدة عليه ، على الرغم من انه خالف هذا الرأي فيما بعد ، وذهب الى ان هذه القصة من القصص التي أضيفت في الكتاب ، وقد أجرى أيضاً بحثاً ودراسة لذلك ولا سيما في (المذكورات العجيبة في قصة السندباد كالتنين والرخ وجزيرة الكافور وجزيرة الناقوس.... الخ) . وتوصل الى اهم جزء في هذا الموضوع وهو ما اشار اليه الباحثان (دوجويه) في بحثه عن قصة السندباد و(شوفان) في كتابه عن الكتب العربية ، فتوصل الى ان هناك رسالتين تبادلهما ملك الصين (سنجريب) أحد الخلفاء العرب ، فيهما وصف لهذه الكنوز ووصف لهذه العجائب التي نراها في قصة السندباد .

وبعدها اخذ يتساءل في إمكانية ان تكون هاتين الرسالتين هما نواة القصص التي حكيت حولها الرحلات وأخبارها المشوقة بأسلوب تاريخي^(٤١) .

ويبدو ان (كازانوفاً) كان مائلاً الى رأيه الأول فنشر هاتين الرسالتين وترجمتهما مع خاتمة بتأثير هذه القصة في الآداب الأوروبية وتحقيق حول اسم السندباد .

وهناك رأي آخر وهو ان حكاية السندباد هي من الحكايات التي أضيفت الى الكتاب ، ولم توجد الا في النسخ المتأخرة ، وفي هذا دليل على التضخم الكبير الذي أصاب الكتاب بسبب عمل الرواة والنساخ^(٤٢) .

ولا تقوتنا الإشارة أخيراً إلى بحث آخر أجراه باحث عربي ووددت تأخيرها الى خاتمة الحديث في هذا الجانب ، لما له من أهمية كبيرة وللنتائج المدهشة التي توصل اليها ، فقد قام الباحث (محسن مهدي) الذي لم يبخل ولم يدخر جهداً في البحث التقصي والمقارنة بين نسخ الكتاب المعروفة ليحقق وليبين الأقرب منها الى النسخة الام المفقودة ، فتوصل بعد جهد جهيد الى ان ((الكتاب خلافاً لكثير من الكتب يحتمل الإضافة ويحتمل الحذف ، وقد أفضى البحث المعمق الذي أجراه للنسخ التي عثر عليها للكتاب خلال القرون الأربعة الأخيرة الى تحقيق متن الكتاب من جديد فلم يثبت فيه سوى إحدى عشرة حكاية وعدّها غيرها مما هو موجود في النسخ الأخرى دخيلة على الكتاب))^(٤٣) .



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

وبعد هذه الجولة بين آراء الباحثين حول أصلية القصة وزيادتها ، تبلورت لدينا فكرة أو رأي نؤيد فيه ما ذهب اليه بعض هؤلاء الباحثين من ان قصة السندباد البحري ، هي اصل في قصص الليالي ، وهي جزء لا يمكن فصله منها ، وكيف لا تعد كذلك وهي من اشهر القصص المعروفة والتي عن طريقها أو بمجرد ذكرها فانها تنبه الى مجموعة قصص الف ليلة وليلة ، وتثير في نفس السامع أو القارئ الرغبة في قراءتها وقراءة قصص الليالي الأخرى .

وزيادة على ذلك فان هناك أمراً مهماً نعتقد انه ذو أهمية بالغة يؤكد ما ايدناه وهو ان القصة أو الليالي في العموم عكست معالم المجتمع العربي أو الشرقي وطبيعته ، ولو كانت مترجمة او مزيدة لما جاءت بهذا الإتقان من التصوير الدقيق لمفاصل الحياة الشرقية .

تأثير قصة السندباد البحري في الآداب العالمية

سبق ان ذكرنا في مقدمة بحثنا هذا عن أهمية كتاب الف ليلة وليلة ، وفي كونه سجلاً تراثياً شعبياً وتاريخياً نقل وبشكل دقيق وتفصيلي الصورة الشرقية العربية والإسلامية للمجتمعات. كما كان موسوعة جغرافية وعلمية وفنية ، انطوت عليها قصصه وحكاياته .

فلا عجب بعد ذلك ان تستأثر على اهتمام رجال الشرق والغرب على حد سواء ، ولا سيما اذا ما عرفنا ان الغرب تنبهوا اليها قبل العرب ، لذا فقد احتضنتها آدابهم واولوها اهتماماً بالغاً وكبيراً ما بين دراسة وتحقيق وتحليل وتمحيص ، ولا سيما منذ ان نشر (جالان) ترجمتها الفرنسية في مطلع القرن الثامن عشر ، ونشأ عليها اجيال من الشباب ، فتأثر بها كبار الكتاب الخياليين أمثال (ديفو وسويفت) و(هوفمان) و(إدكار الن دبو) و(لاموت – فوكيه) و(هانس اندرسون) و(جريم) ... وغيرهم^(٤٤) .

وقد أدت ترجمتها الى الكثير من اللغات الأوروبية الى شغف الغربيين في جمع الادب الشعبي ، ولا سيما العربي أو الشرقي ودرسته بشكل لم يكن معروفاً من قبل ، كما كانت لديهم رغبة كبيرة في التعرف على طبيعة الشعوب التي أنتجت هذا الأثر الفني العظيم^(٤٥) .

وبما ان قصة السندباد البحري هي إحدى قصص وحكايات الف ليلة وليلة ن فقد لاقت من العناية والاهتمام الشيء الكثير ، لانها تعد من ابداع القصص البحرية لا في الأدب العربي فحسب، بل في الآداب العالمية أيضاً^(٤٦) ، فكان لها مكاناً متميزاً من بين القصص التي تأثر بها الغربيون بشكل كبير جداً ، وأولوها عناية فائقة ، استوحوا من أحداثها ومغامراتها ، وخيالها الواسع ، ووصفها للطبيعة الخلابة ، وذكرها للتفاصيل الدقيقة المشوقة الكثير الكثير ، فكانت من اهم القصص التي أثرت كثيراً فيهم وشغفوا بها ، وعدوها من أروع القصص العالمية وأبدعها^(٤٧) .



فمنهم من يرفع قصة السندباد البحري الى مكانة (الاوديسة) لـ (هوميروس) ، قياساً مع الفارق^(٤٨) .

وذكر الدكتور محمد غنيمي هلال اثناء حديثه عن كتاب الف ليلة وليلة ، وتأثر الغرب به، ان فيه اشارات يونانية مشيراً من خلال ذلك الى تأثره بقصة السندباد فيقول : ((ان قصة السندباد البحري تقابل — بما تحتوي عليه من مغامرات — ملحمة أوديسة هوميروس وبخاصة في وصف الكهف الذي يتغذى فيه الوحش بالناس وهذا الوحش في صورة رجل طويل القامة ، طويل اللحية، له عينان كأنهما مشعلان يعمي ضحاياه من البشر قبل ان يفترسهم ويتغلب عليه في القصة (سعيد) فيقتله ، وهذا ما يذكرنا بمخاطرة (يوليس) في كهف (بولفموس) في (اوديسة) هوميروس))^(٤٩) .

ولم يقف تأثير هذه القصة على هذا فحسب ، بل امتد أيضاً الى الأدب الانكليزي والفرنسي والروماني وغيرها من الآداب العالمية الأخرى ، فقد غلب التأثير الشرقي في انكلترا بموجات مختلفة منذ عهود بعيدة ، إذ انتقلت عدة قصص شرقية خلال القرون الوسطى الى أوروبا عن طريق سوريا والأناضول وإيطاليا وأسبانيا ، وقد ساعد على ذلك التجار والسياح .

اما العلماء فقد قدموا لأوروبا ترجمات لاتينية لأربع مجموعات عظيمة من القصص الشرقية الأصلية كان من ضمنها (قصة السندباد)^(٥٠) .

وقصة السندباد البحري هي من القصص المعروفة والمشهورة جداً عند الانكليز ، فقد أوحى هذه القصة الى كثير من كتّاب الرحلات الانكليز الى التأليف في هذه الموضوعات ، فألف الكاتبان الانكليزيان كتابين هما (روبنسون كروزو) وكتاب (رحلات جالفيرز) ، اللذان يعدان من اكثر كتب الأدب الانكليزي ذيوماً ونجاحاً ، وقد ترجما الى كل اللغات تقريباً^(٥١) .

وقد شجع هذا النجاح الكاتب الفرنسي (جول فون) على ان يؤلف سلسلة كتب صغيرة للصبية عن الرحلات ، وقد تُذكر ذات الأشياء بعينها من قصة السندباد ويضمنوها قصصهم مثلما فعل الكاتب المعروف (ديلز) في كتابه (Aepyarnis Island) إذ استمد الكثير من وحيه من (الرخ) المذكور في قصة السندباد^(٥٢) .

و قصة السندباد البحري كانت إحدى اهم القصص المشهورة جداً التي ترجمت الى اغلب اللغات الأوروبية كقصة الأحدب وعلاء الدين والمصباح العجيب وعلي بابا والأربعين حرامي ... وغيرها . ولاقى هذه القصص رواجاً كبيراً لدى الكتاب والقراء وساهمت هذه الكتب او القصص في إشاعة التأثير الشرقي في الغرب ، فضلاً عما شكلته من ذاكرة معرفية^(٥٣) .



عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الثاني

وطارت شهرة قصص وحكايات الف ليلة وليلة في الأدب الروماني وذاع صيت شهرزاد، فزادت عدد المؤلفات المنشورة وغير المنشورة في الصحف والمجلات الأدبية، ولا سيما تلك الموجهة الى البالغين والأطفال، فنشر (اميل جيرليانو) (حكاية السندباد) في العام ١٩١٢، وحكاية الشيخ والساحر شهاب الدين، ومغامرة الخليفة هارون الرشيد العام ١٩١٥ - ١٩١٦، مما جعله يؤلف بيبلوغرافيا كاملة لها مؤكداً على انتشارها في رومانيا^(٥٤).

وفي الدنمرك فقد تأثر الروائي الشهير (هانز اندرسون) كثيراً بالموضوعات والقصص التي ترجمت الى اللغات الأوروبية، وشغف الأطفال بها في العالم، ولا سيما قصص علاء الدين والمصباح السحري وقصة الأميرة وقصة السندباد البحري وغيرها^(٥٥).

ولم تقف شهرة حكايات الف ليلة وليلة وقصصها ولا سيما قصة السندباد عند حد الاهتمام الأدبي، بل تعداه الى الاهتمام الفني فظهر تأثيرها الواضح لدى الفنانين فأوحت لهم بمؤلفات موسيقية هامة أصبحت لبعضها شهرة عالمية مثل سمفونية (ريمسكي كورسكوف) (شهرزاد) التي ألفها سنة ١٨٨٨، واستلهم فيها الاجواء الشرقية، لا سيما من قصة السندباد فتضمنت اربع حركات: البحر ومركب السندباد - حكاية الأمير كاندر - الامير الشاب والأميرة الشابة - ومهرجان بغداد.

واستغلت هذه الموسيقى في اوبرا تحمل نفس العنوان سنة ١٩٣١، ركزها المؤلف على وفاء شهرزاد لخطيبها^(٥٦).

وكان لفنون السينما نصيب من حكايات الف ليلة وليلة وشخصياتها، فكانت شخصية السندباد إحدى ابرز تلك الشخصيات الى جانب شخصية علي بابا وعلاء الدين وشهرزاد، وهذه الافلام كانت تقوم على التركيب والمزج بين الحكايات وانتقاء الصور المثيرة التي تلائم ما ينتظره الجماهير من السينما^(٥٧)، أي انها كانت لا تعتمد على الحكاية الواحدة.

ويبدو ان اهتمام الغرب بحكايات الف ليلة وليلة وما ألفوه عنها وما وجدوه فيها من كنوز معرفية وأدبية وفنية، قد لفتت انظار العرب باحثين وفنانين، ولعل احتكاك المثقفين العرب بالأدب الغربي هو الذي كان حافزاً لهم كما يذكر ذلك الدكتور محمود طرشونة، فذكر ان اول من أدرك إمكانية توظيف الكتاب في المسرح هو توفيق الحكيم ثم تبعه آخرون في القصة والشعر وغيرها^(٥٨).

وزيادة على ذلك فان قصة السندباد البحري كانت أيضاً موضوع دراسة العلماء المستشرقين والجغرافيين امثال (فالكنايير) و(رينو) و(دي خوي) و(ريتشارد هول) و(لين)



و (كازنوافا) و (جبريل فرّان) ، واستشهد بها مؤرخو علم تقويم البلدان كلما عرضوا لجغرافيا القرون الوسطى ، وفي ذلك يقول (فيفيان دي سان مارتان) في تاريخ الجغرافيا : ((وقد احتفظت تلك المواضع القاصية (أي شرق آسيا) عند قدماء العرب (يقصد عرب القرون الوسطى) بخصائص العجب الغريب ، وهي الخصائص التي تتصل بالمجاهل البعيدة فمن لم يطالع كتاب (الف ليلة وليلة) حكايات السندباد البحري العجيبة ؟ هذه الحكايات التي تغلو في التصور وتتمادى فيها الاخيلة الشرقية لا تعدم أهميتها لدى المؤرخ الجغرافي)) (٥٩) .

اذن لم يقتصر تأثيرها على الناحية الأدبية والفنية ، وانما تعدته الى الناحية التاريخية والجغرافية .

ولم يقف تأثيرها على ما سبق ذكره ، وانما تعداه الى ما تركته هذه القصة من أصداء بين الحكايات وهو الدليل الأكثر تأكيداً على مدى تأثير هذه القصص المختلفة في الكتاب ، فقد تركت رحلات السندباد أثرها في كل قصة ، أي انها تأخذ جانباً معيناً نجد صداها في ثنايا القصص الأخرى من ضياع في الأرض أو البحر أو الحديث عن البلدان والعجائب التي كان يراها السندباد فكان القاص اذا أراد ان يتحدث عن امر عجيب صادف البطل فانه غالباً ما يذكر جانباً من تلك العجائب الموجودة في قصة السندباد ، فعلى سبيل المثال مدينة القرود في جانشاه ، صورة لمدينة القرود عند السندباد في رحلته (٦٠) .

كما ان وجود بعض المهن الجديدة التي وردت في قصة السندباد نجد صداها أيضاً في قصة (صير وأبي قير) وهي صناعة السروج ، فقد وجد السندباد في مدينة يركب اهلها الحصان من دون السرج (٦١) ، وهناك الكثير من الآثار التي أوجدها قصة السندباد البحري ، وان المتتبع لها بشكل دقيق سيكتشف الكثير منها فهي لا تتوقف على جانب معين ، بل كانت متنوعة في الأدب والفن والتاريخ والجغرافية والسياسة والاجتماع .

الخاتمة

بعد هذه الجولة في عالم السندباد البحري والتي صحبنا فيها السندباد عبر رحلاته الى بحار وجزر وأماكن عديدة ، لا بدّ لنا من خاتمة للمطاف نتعرف خلالها على اهم النتائج التي خرجنا بها والتي يمكن ان نستشفها من خلال دراستنا وتحليلاتنا ونقدنا لما ورد في القصة أو ما قيل او كُتِب عنها .

وأول ما نلاحظه في هذه القصة انها تمتاز بقوة السرد الحكائي والعرض ، فضلاً عن قدرة في الإيحاء بالجو البحري الصادق ، أي انها صورت البحر بهدوئه وهياجه ، بسعته وكرمه ، بغموضه وتقلباته .

وأظهرت هذه القصة وبشكل واضح صورة البطل نفسه فالسندباد هو ذلك الشاب الذي ورث عن أبيه مالاً كثيراً ، وضياعه بين اللعب واللهو ، وفي هذا تصوير لحالة الاغراء في سن الشباب ، وحب المغامرة التي تغلب عليه ، ولكن نفس السندباد لم تركز الى حياة الفساد والانحلال فكان البحر وركوب مخاطره هو الوسيلة لتخلصه من هذا الواقع .

هذا فضلاً عن ان السندباد مثل لنا في هذه القصة من طبقة التجار التي كانت سائدة في المجتمع العربي في ذلك العصر ، زيادة على ما أظهرته شخصية السندباد في القصة من أخلاقيات أتمم بها ومثل بها هذه الطبقة من شجاعة وحب المغامرة والوفاء بالعهد والكرم وحسن المعاملة وإخلاص في العمل وحسن الظن بالآخرين وغيرها من الأخلاق التي يتميز بها المجتمع العربي الأصيل التي ربطت فيها القصة بينها وبين من يتحلى بها ، وبين الخلاص من المآزق التي يقع فيها .

وظهر من خلال عرض الآراء والمناقشات حول أصالة هذه القصة وزيادتها في كتاب ألف ليلة وليلة وذهبنا مع الرأي الذي رجح أصالة هذه القصة ، فكل جانب ورد فيها كان يؤكد أصالتها ، فضلاً عن انها وجدت في اقدم النسخ لكتاب ألف ليلة وليلة .

وانتهينا الى مدى تأثيرها في الأدب العربي والآداب العالمية ، وراينا كيف ان تأثيرها لم يقتصر على عالم الأدب ، وانما تعداه الى عالم الموسيقى والغناء والسينما والمسرح ، فأخذت كل هذه الميادين من أحداثها موضوعاً جديداً وجميلاً ، زيادة على تجاوزها عالم الأدب الى عالم الطفولة البريئة ، فكانت بذلك كله وبحق القصة التي تستحق وبجدارة المكانة التي احتلتها من بين قصص ألف ليلة وليلة .

الهوامش وقائمة المصادر والمراجع

- (1)مراجعة كتاب شهرزاد في انكلترا : د. محسن جاسم الموسوي ، ترجمة : عبد الواحد محمد ، مجلة الاستشراق ، العدد (٢) ، شباط ١٩٨٧ ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٧٥ .
- (2) ينظر : حديث السندباد القديم : حسين فوزي ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ١٩٧٧م ، ٢٥٦ .
- (3) ينظر : ألف ليلة وليلة ، دار العودة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩م ، ٩٩٠/٥ وما بعدها .
- (4) ألف ليلة وليلة /٥ ٩٩٢ .
- (5) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ٩٩٣ – ١٠٠٠ .
- (6) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٠٠ – ١٠٠٦ .
- (7) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٠٦ – ١٠١٥ .
- (8) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠١٥ – ١٠٢٤ .
- (9) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٢٤ – ١٠٣٢ .
- (10) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٣٢ – ١٠٣٩ .
- (11) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٣٩ – ١٠٤٧ .
- (12) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠١٩ .
- (13) ينظر : ألف ليلة وليلة /٥ ١٠٤٤ .
- (14) ينظر : السردية العربية : عبد الله إبراهيم – أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٩١م ، ١١٦ .
- (15) بناء النص التراثي : د. فدوى مالطي دوكلاس ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، والهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ٢٠ .
- (16) ينظر : الحكاية الشعبية : الدكتور عبد الحميد بونس ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ، ٣٧ .
- (17) ينظر : ألف ليلة وليلة : د. سهير القلماوي ، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٦م ، ٢٤ ، والف ليلة وليلة /٥ ١٠١٩ – ١٠٢٠ .
- (18) حديث السندباد القديم ٢٥٧ .
- (19) ينظر : مدخل الى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة : د. محمود طرشونة ، ط ٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٨٧م ، ١٠٩ .
- (20) أضواء على السير الشعبية : فاروق خورشيد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٥ .
- (21) ينظر : الحكاية الشعبية ٨٩ – ٩٠ ، والف ليلة وليلة مرآة الحضارة والمجتمع في العصر الإسلامي : ميخائيل عواد ، إصدار مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الإرشاد ، ١٩٦٢م ، ٢٣ .

- (22) ينظر : الف ليلة وليلة /٥ / ١٠١٨ .
- (23) ينظر : الف ليلة وليلة /٥ / ١٠٤٤ .
- (24) ينظر : الف ليلة وليلة /٥ / ١٠٣٢ — ١٠٣٣ ، والف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ١٨٨ .
- (25) الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ١٨٨ .
- (26) ينظر : مضمون الأسطورة في الفكر العربي : خليل احمد خليل ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر — بيروت ، ١٩٧٣ م ، ١١٩ .
- (27) ينظر : الف ليلة وليلة /٥ / ١٠٣٩ .
- (28) ينظر : الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ١٨٨ .
- (29) ينظر : مضمون الاسطورة في الفكر العربي ١١٩ .
- (30) ينظر : مدخل الى الادب المقارن ١٣١ .
- (31) الف ليلة وليلة في ترجمة انكليزية جديدة : ترجمة : محمد درويش ، مجلة الموقف الثقافي — دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة الأولى ، العدد (٤) ، ١٩٩٦م ، ٣٧ .
- (32) حديث السندباد القديم ٢٥٦ .
- (33) ينظر : مدخل الى الادب المقارن ٩٣ .
- (34) ينظر : الف ليلة وليلة /٤ / ٧٠٤ .
- (35) ينظر : قصة الأدب في العالم : احمد أمين وزكي نجيب محمود ، مكتبة النهضة المصرية ، القسم الثاني من الجزء الثاني (د . ت) (د . ط) ، ٤٨٧ .
- (36) ينظر : المصدر نفسه .
- (37) الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ١٢٤ .
- (38) ينظر : المصدر نفسه ٥٦ .
- (39) ينظر : الف ليلة وليلة في ترجمة انكليزية جديدة ٢٢ .
- (40) الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ٥٦ .
- (41) ينظر : المصدر نفسه ٥٧ .
- (42) السردية العربية ١٠١ .
- (43) المصدر نفسه ١٠٠ .
- (44) ينظر : حديث السندباد القديم ٣٦٠ ، والف ليلة وليلة في ترجمة انكليزية جديدة ٣٥ ، وديوان ألف ليلة وليلة : تحقيق : عبد الصاحب العقابي ، ط ٢ ، مكتبة النهضة — بغداد ، ١٩٨٤ م ، ٧ وما بعدها ، والف ليلة وليلة مرآة الحضارة والمجتمع ٥ ، ومراجعة كتاب شهرزاد في انكلترا ١٧٥ — ١٧٦ .
- (45) ينظر : ديوان الف ليلة وليلة ٩ ، ومراجعة كتاب شهرزاد في انكلترا ١٧٤ وما بعدها .
- (46) ينظر : حديث السندباد القديم ١٨٦ ، والف ليلة وليلة مرآة الحضارة والمجتمع ٢٥ .

- (47) ينظر : الف ليلة وليلة امرأة الحضارة والمجتمع ١٨ – ١٩ ، إذ يذكر ان قصة السندباد هي من القصص التي استلقت من اصل الكتاب وطبعت في الشرق والغرب مراراً .
- (48) ينظر : الادب المقارن : محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط ٣ ، (بلات) ، ٢١٥ .
- (49) الادب المقارن ٢١٥ .
- (50) ينظر : دراسات في الأدب المقارن : صفاء خلوصي ، ٤٩ .
- (51) ينظر : الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ٧٤ ، والف ليلة وليلة امرأة الحضارة والمجتمع ٢٥ ، ومراجعة في كتاب شهرزاد في انكلترا ١٨٠ .
- (52) ينظر : الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ٧٤ ، والف ليلة وليلة ٥ / ١٠٠٠ وما بعدها .
- (53) ينظر : الف ليلة وليلة في ترجمة انكليزية جديدة ٤١ .
- (54) ينظر : الف ليلة وليلة في ترجمة انكليزية جديدة ٤٢ .
- (55) ينظر : ديوان الف ليلة وليلة ١١ .
- (56) ينظر : مدخل الى الادب المقارن ١٤٦ .
- (57) ينظر : المصدر نفسه ١٤٧ .
- (58) ينظر : مدخل الى الادب المقارن ١٤٦ .
- (59) حديث السندباد القديم ٣٦٠ – ٣٦١ .
- (60) ينظر : الف ليلة وليلة ، سهير القلماوي ١٢٠ ، والف ليلة وليلة ٥ / ١٠١٨ .
- (61) ينظر : الف ليلة وليلة ، القلماوي ١٢٠ .